

القرآن والحديث وإجماع المسلمين

د. محمود عزالدين

مدرس سابق في قسم الرياضيات - كلية العلوم - جامعة دمشق

تعلّمت المعلومات الأساسية في مجال "العقائد والعبادات، الأحكام والتشريعات، الأخلاق والمعاملات" بالأساليب والطرق التقنية المعروفة "بالنقل لا بالعقل". ويمكن تلخيص ما تعلّمت في حوارين في قصة، أدعوها "قصة جبريل"، وجدتها في صحيح مسلم في "كتاب الإيمان".

قال يحيى بن يعمر: أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهنمي. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله فسأله عما يقول هؤلاً في القدر. فوفقاً لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد. فاكتفته أنا وصاحببي. أحدهما عن يمينه والأخر عن شماله. فظننت أن صاحببي سيكمل الكلام إلى. فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر. وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برأء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثي أبي عمر بن الخطاب. قال: بينما نحن عند رسول الله ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي، فاسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وتقيم الصلاة. وتوتّي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحجج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً". قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال رسول الله: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: "أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء، يتطاولون في البنيان". قال: ثم انطلق. فلبثت ملياً. ثم قال لي: "يا عمر! أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

يمكن استنباط فكرتين من القصة.

فكرة "الإيمان" .. الإيمان هو "الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره". وهذا ما يُعرف بـ"العقائد" أو "أركان الإيمان". مع تعديل في اسم الركن الأخير فأصبح اسمه "القضاء والقدر - خيره وشره من الله".

فكرة "الإسلام" .. الإسلام هو "الشهادة - أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله -. إقامة الصلاة. إتاوة

الزكاة. صوم رمضان. الحج إلى بيت الله، مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا". وهذا ما يُعرف بـ"العبادات" أو "أركان الإسلام".

ويمكن استخلاص مما تعلّمت ثلاثة مبادئ.

مبدأ "القرآن" .. القرآن هو الدستور في الشريعة الإسلامية، يحدد الخطوط العريضة للحياة الدنيا والحياة الآخرة. فالقرآن يحدد أركان "العقائد والعبادات، الأحكام والتشريعات، الأخلاق والمعاملات".

مبدأ "الحديث" .. الحديث والسيرة هما لشرح وتوضيح الأركان في القرآن، وبالخصوص كيفية الممارسة العملية للعبادات. فالحديث والسيرة هما التطبيق الأمثل للدستور في الشريعة الإسلامية. والحادي في هذا المبدأ هو عدم إضافة ركن لأركان الدستور أو إزالة ركن من أركان الدستور، فهو تشويه لأركان الدستور.

مبدأ "الإجماع" .. إجماع المسلمين هو لتمديد التطبيق الأمثل للدستور في الشريعة الإسلامية بهدف تلبية متطلبات العصر. ومن الطبيعي أن يكون الحد في هذا المبدأ هو عدم إضافة ركن لأركان الدستور أو إزالة ركن من أركان الدستور.

إذا كان فهمي فكري "الإيمان والإسلام" من "قصة جبريل" صحيحاً، وإذا كان فهمي مبادئ "القرآن والحديث والإجماع" صحيحاً، فأرى أن حدّ مبدأ "الحديث" قد تم تجاوزه مرتين. مرة بإضافة ركن للعقائد، ومرة بإضافة ركن للعبادات. وأن حدّ مبدأ "الإجماع" تم تجاوزه بإضافة ركن للعقائد. وهذا ما سأحاول إياضاحه في هذه المخطوطة. وسأطرح وجهة نظري في "الهدف من الإسلام"، والنموذج الأمثل لتطبيق هذا الهدف. لأن الإسلام من وجهة نظرى يبقى أرقى الأديان العالمية التي تشنى لي الإطلاع عليها حتى الآن.

عندما وعيت بداية الهجمة العالمية على الإسلام في بداية التسعينيات من القرن الماضي، وهدف الهجمة برأي هو إفنا، المسلمين وكأنهم وباء على العالمين، لم تكن معلوماتي الدينية مهيأة منطقياً وعلمياً لتوضيح حقيقة الإسلام للآخرين، لهذا قمت بدراسة الإسلام دراسة أكاديمية فردية، وكتابة ما أمكنني ككتابته، بهدف المساهمة ما أمكنني بالدفاع عن الأبرياء من العالمين ومنهم المسلمين.

نهجت في تلك الدراسة نهج "الأحكام المسبقة". وهذا النهج هو البحث عن آيات في القرآن، وعن أحاديث في كتب الحديث، وعن قصص في الكتب الدينية، للاستشهاد بها على الأفكار التي كنت قد تلقّنتها سابقاً. وهذا خطأ تداركه في الكتابات اللاحقة. فالصواب هو دراسة القرآن والأحاديث والقصص لاستبطاط الأفكار منها "دون أحكام مسبقة".

كنت خلال تلك الدراسة مجبرنا على قراءة القرآن كاملاً كلما أردت البحث عن آية للاستشهاد بها،

حيث لم تكن تقنية الحاسوب قد وصلت لإمكانية استخدامها في هذا البحث. سأذكر فيما يلي بعض المسائل التي واجهتها في ذلك البحث، والتي أوجهها في كل البحث أقوم به حتى الآن.

القرآن .. لم أجد في القرآن موضوعاً واحداً من مواضع "العقائد، العبادات، الأحكام، التشريعات، الأخلاق، المعاملات" في سورة واحدة. فهذه المواضيع مشتتة بين سور القرآن. كما أن أسماء سور القرآن التي تحتوي على شيءٍ من موضوع هذه المواضيع لا توحى بوجود هذا الشيءٍ من ذلك الموضوع فيها. وهذا ما يجعل البحث في أي موضوع من هذه المواضيع عسيراً. وبما أن هذه المواضيع برأي هي المواضيع الأساسية والرئيسية في الإسلام، فرأى أنه لم يؤخذ بمبدأ الآية "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (البقرة:185)" في تجميع القرآن.

الحديث .. وجدت في صحيح البخاري الحديث (25)، عن ابن عمر أن رسول الله قال:

- "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصمو مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله".

ووجدت في صحيح مسلم الحديث (5)، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله:

- "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصمو مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله".

من جهة أخرى وجدت في القرآن الآيات:

- "لا إكراه في الدين .. (البقرة:256)"

- "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً فأفَأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (يونس:99)"

- "ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء .. (البقرة:272)"

- "إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (الزمر:41)"

- "إن الذين كفروا سوا عليهم آذنرتهم أم لم تندرهم لا يؤمنون (البقرة:6)"

- "والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم (الأنعام:39)"

- "قل فللهم الحجة بالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (الأنعام:149)"

تساؤل .. ألا يوجد عدم تواافق بين الحديث والآيات؟ ففي الحديث إكراه في الدين، بينما في الآيات لا إكراه في الدين. وبما أنني لا أعلم جميع آيات القرآن فقد استند على حديث لا يتوافق مع آية في القرآن. وهذا ما يجعلني غير مُتيقن من صحة الأحاديث. فاستنادي على الأحاديث شبهه معدوم.

إجماع المسلمين .. أجمع المسلمون قرروا من الزمن على أن الأرض منبسطة "مستوية" استناداً للآية: "والأرض بعد ذلك دحها (النازعات.30)".

تساؤل .. هل قول الرسول "لا تجتمع أمتي على ضلاله" ينطبق على كافة العلوم؟ هذا إذا كان الرسول قال ذلك. وهذا ما يجعلني غير متيقن من صحة إجماع المسلمين حتى في الأمور الدينية، كما سأوضح ذلك لاحقاً. فاستنادي على إجماع المسلمين معدوم.

العقائد .. العقائد أو أركان الإيمان هي ستة أركان: "الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقضاء، والقدر". فانطلقت من هذه الفكرة للبحث عن آيات في القرآن، وعن أحاديث في كتب الحديث، وعن قصص في الكتب الدينية، للاستشهاد بها على هذه الفكرة.

مسألة الآية الواحدة .. لم أجده آية واحدة تجمع فيها الأركان الستة للإيمان للاستشهاد بها. مع أنه هناك مواضيع مجمعة بآية واحدة، مثل جمع الرسل في الآية: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطر وما أتى موسى وعيسى وما أتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (البقرة.136)". وجُمع هؤلاء الرسل مرة أخرى في الآية: "قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساطير وما أتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (آل عمران.84)".

وحدث في العقائد الآيتين:

- .. والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .. (البقرة.285)
- "إن الذين آمنوا .. من آمن بالله واليوم الآخر .. (البقرة.62)"

مسألة الأنبياء .. وجدت الآية: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .. (البقرة.177)".

تساؤل .. أليست الآية (البقرة.177) توضح الإيمان بالأنبياء، كما توضح الآية (البقرة.285) الإيمان بالرسل؟ فلماذا اقتصر الإيمان على الرسل فقط "في أركان الإيمان" ولم يشمل الإيمان بالأنبياء؟ لو كنت نهجت نهج "عدم الأحكام المسبقة" لاستبانت أن العقائد أو أركان الإيمان هي "الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ونبيه، واليوم الآخر". لأنني لن اكتشف في القرآن الفرق بين الرسول والنبي.

مسألة القضاء والقدر .. لم أجده آية للاستشهاد بها على الإيمان بالقضاء والقدر. فمن أين جاء الإيمان بالقضاء والقدر كركن من أركان الإيمان؟ وجدت في كتاب "النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" لحسين مروه شيئاً في هذا موضوع اخترت منه بتصرف ما يلي:

هل الإنسان مُجبر أم مُخيّر؟ .. يُرجع بعض المؤرخين مسألة القضاة والقدر إلى محاولة التوفيق بين الآيات التي توحى بأن الإنسان مُجبر والآيات التي توحى بأن الإنسان مُخيّر. كالأيات التالية:

الإنسان مُجبر .. "ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ .." (الأنعام:102) والله خلقكم وما تعملون (الصافات:96) وما تشاوئن إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ .. (الإنسان:30) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .. (البقرة:7) فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلله يجعل صدره ضيقا حرجا .. (الأنعام:125) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها .. (الحديد:22)." .

الإنسان مُخيّر .. "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ .." (الكهف:29) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها .. (الإسراء:15) إنما هدینا السبيل إما شاكرا وإما كفورا (الإنسان:3) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .. (البقرة:256) كل نفس بما كسبت رهينة (المدثر:38) وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم .. (الشورى:30) من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعلها وما ربكم بظلام للعبيد (فصلت:46) .. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغروا ما بأنفسهم .. (الرعد:11)." .

يعال الفقهاء الهدایة والضلال اللذان يبيدهما على أنهما سابقة استحقاق للعبد، كما في الآيات: أصحاب الصفات الحميدة يستحقون الهدایة .. "ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء علیم (التغابن:11) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه وبيهديهم إلى صراط مستقيم (المائدة:16)." .

أما أصحاب الصفات الذميمة فلا يستحقون الهدایة .. "إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (الزمآن:3) .. إن الله لا يهدي القوم الظالمين (المائدة:51) .. ويضل الله الظالمين .. (إبراهيم:27) .. كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (غافر:35) .. فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين (الصف:5) سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء .. . قل فللهم الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (الأنعام:148-149)." .

الضرورة الفلسفية للعقل الإنساني .. يُرجع البعض الآخر من المؤرخين مسألة القضاة والقدر إلى مبدأ فكري عام مجرد كمبدأ "الضرورة الفلسفية للعقل الإنساني"، ويدعمون رأيهم هذا بأن أناس من عامة المسلمين كانوا بحاجة لتحديد موقفهم من مسألة القضاة والقدر، فوضعوها أمام الرسول في حياته، كما ورد في الحديث: "عن جابر قال: جاء سراقة بن جعشن فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن. فيم العمل الآن: أفي ما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم في ما يستقبل؟ قال: لا، بل في ما جفت به الأقلام وجرت به المقادير. فقال: فكيف العمل؟ قال: اعملوا، وكل ميسر لكم خلق له، وكل عامل بعمله." أخرجه مسلم.

ووضع المسلمون المسألة أمام الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول. حيث يُروى أنه: أتى سائل عن القدر إلى علي بن أبي طالب، وقال له: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. فقال: طريق دقيق لا تمشي فيه. فلم يقتصر السائل، بل ردّد: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. فقال: سر خفي لله لا تفشه. فعاد الرجل يقول: يا أمير المؤمنين، أخرى: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. فقال: سر خفي لله لا تفشه. فعاد الرجل يقول: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر. فقال علي: يا سائل، إن الله خلقك كما شاء، أو كما شئت؟ فقال الرجل: كما شاء. قال

علي: إن الله يبعثك يوم القيمة كما شئت أو كما يشا؟ فقال الرجل: كما يشا. فقال علي: يا سائل، لك مشيئه مع الله أو فوق مشيئته أو دون مشيئته؟ فإن قلت مع مشيئته، ادعية الشركة معه. وأن قلت دون مشيئته، استغفلاً عن مشيئته. وإن قلت فوق مشيئته، كانت مشيئتك غالباً على مشيئته. ثم قال علي: ألسنت تسأل الله العافية؟ فقال الرجل: نعم. فقال علي: فبماذا تسأله العافية، أمن بلا ابتلاء به، أو من بلا غيره ابتلاء به؟ قال الرجل: من بلا ابتلاني به. فقال علي: ألسنت تقول "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"؟ قال الرجل: بل. قال علي: تعرف تفسيرها؟ فقال الرجل: لا، يا أمير المؤمنين. علمني مما علمك الله. فقال علي: تفسيره أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته إلا بالله عز وجل. يا سائل، إن الله يُسقِّم ويُداوِي، منه الداء ومنه الدواء. اعقل عن الله. فقال الرجل: عقلت. فقال علي له: ألا صرت مسلماً؟ قوموا إلى أخيكم المسلم وخذلوا بيده.

ويروى عن علي بن أبي طالب أيضاً أنه: عندما انصرف من صفين، قام أحد أتباعه وسأله: أخبرنا عن مسيرنا من الشام، أكان بقضاء وقدر؟ فقال علي: والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما هبطنا وادياً ولا علونا تلة إلا بقضاء وقدر. فقال الرجل: عند الله أحتسب عنائي "يقصد أن تعبه ذهب هدراً" مالي من الأجر شيء. فقال علي: بل، أيها الشيخ، عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منقلبكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين. فقال الرجل: وكيف ذلك، والقضاء والقدر ساقانا، وعنهمما كان مسيرنا؟ فقال علي: لعلك تظن قضاً واجباً وقدراً حتماً، ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، ولما كانت تأتي لآئمة لمذنب ولا ممددة لمحسن، ولا كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن. إن الله تعالى أمر تخيراً، ونهى تحذيراً، ولم يكلف مجبراً، ولا بعث الأنبياء عيثاً. فقال الرجل: وما ذاك القضاة والقدر اللذان ساقانا؟ قال علي: أمر الله بذلك أرادته. ثم تلا: "وَقَضَى رَبُّكَ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا".

يلاحظ فارقاً واضحاً بين الجوابين: فالجواب الأول يفسر القضاة والقدر بالجبرية المطلقة، بينما في الجواب الثاني فيدع مجالاً لاختيار الإنسان.

تأثير الفكر اللاهوتي المسيحي .. يرجع مؤرخون آخرون مسألة القضاة والقدر إلى تأثير الفكر اللاهوتي المسيحي. فيروي المؤرخ ابن عساكر في كتابه "التهذيب": أن عمر بن الخطاب قال في خطبته بالجاجية أن الله "يهدي من يشا، ويضل من يشا". فنعتم الجاثليق - لاهوتى مسيحي دخل الإسلام - بلغته شيئاً، فسأل عمر عن أمره، فقيل له أنه يقول: "ابن الله لا يضل". فكان ابن عساكر يجد في هذه الرواية شكلاً من أشكال الحوار غير المباشر بين الفكر الإسلامي "الرسمي" الذي يسند فعل الإنسان إلى الله وبين الفكر اللاهوتي المسيحي الذي يرى الاختيار للإنسان في أفعاله وينفي عن الله كونه هو الذي يضل الناس حين يكونون على ضلال، وكأنه يرى لذلك أن مثل هذا الشكل من الحوار هو منشأ إثارة النقاش في مسألة القدر عند المسلمين منذ ذلك الزمن. ويدرك ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى": أن مبدأ الجهني هو أول من قال بالقدر، وأنه تأثر برجل نصراني يدعى سنهويه كان قد أسلم ثم تنصر، وينتقل هذا التأثير من معبد إلى الحسن البصري في العراق، وإلى غيلان الدمشقي في بلاد الشام. وتؤكد ذلك يرى البعض من المؤرخين أن مبدأ الجبرية المطلقة في القضاة والقدر كان معروفاً في الدينات الأخرى كالبرهمية والبوذية والمذكورة، ولذلك وجد جهم بن

صفوان زعيم الجبرية أنصاراً لمبدئه في خورasan في بلاد فارس التي كان أهلها يعتقدون تلك الديانات قبل إسلامهم.

مسألة القضاء والقدر سياسية واجتماعية .. يرى بعض المؤرخين أن مسألة القضاء والقدر كانت سياسية واجتماعية في جوهرها، ودينية في ظاهرها، وذلك لأن السلطة الأموية استفادت من فكرة الجبرية المطلقة في القضاء والقدر لدعم وجودها من جهة، ولسد أبواب الأمل أمام المسلمين بالخلاص من ظلم هذه السلطة من جهة ثانية، ما دامت سلطة إلهية جبرية. وما دام ليس في مقدور الإنسان أن يعاند سلطة الله، ولا أن يمنع عن نفسه قضاة الله وقدره. أي أنه لا يملك الاختيار في فعل من أفعاله. فعل المسلمين إذاً، بحكم هذه الجبرية الإلهية، أن يستسلموا للحكم الأموي، لأنهم بذلك يستسلمون لقضاة الله وقدره. ويدعمون حجتهم هذه بالرواية: أن معداً الجهنمي وعطاً بن يسار أتيا إلى الحسن البصري وقالا له: "يا أبا سعيد، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون أموالهم، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى، فقال لهم الحسن البصري: كذب أعداء الله - يقصد بنى أمية". هذا ما أدى لنشوء جماعتين فكريتين: "الجبرية والقدرة".

الجبرية .. الجبرية تعتبر أن القضاء والقدر هو الجبرية المطلقة وعدم حرية أو اختيار الإنسان في وقوع الأحداث، وبالتالي فإن الإنسان مُجبر وليس مُخير في أعماله وتصرفاته. وعاد مفكري هذه الجماعة لدعم آرائهم بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وروايات تاريخية. من جهة أخرى يذكر القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمданى في كتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل": أن أول من قال بالجبر وأظهره هو الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وأظهر أن ما يأتيه، بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً في ما يأتيه، ويوجه أنه مصيبة فيه، وأن الله جعله إماماً وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بنى أمية.

أما الجبريون فليسوا فرقة واحدة، فقد ذكر الشهريستاني ثلاثة أصناف رئيسة لهم. الجبرية الخالصة: لا ثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، وزعيمها جهم بن صفوان من ترمذ في مرو في بلاد فارس، قتله الأمويون لخروجه على حكمهم مع الخارجين. والجبرية المتوسطة: تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. والفرقة التي ثبتت للقدرة الحادثة "أي قدرة الإنسان" أثراً ما في الفعل، وسمى ذلك كسباً، فليس بجبرى. وذكر الشهريستاني للفرق النجارية "زعيمها الحسين بن النجار من الري في بلاد فارس" منهم أصنافاً ثلاثة أيضاً. أما الفرق الضاربة "زعيمها ضرار بن عمرو" فتتميز بأن بين مبادئها مبدأ يقول: "أن الإمامة تصلح في غير قريش، حتى إذا اجتمع قرشي ونبي قدمنا النبطي، إذ هو أقل عدداً، وأضعف وسيلة، فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة".

القدرة .. القدرة تعتبر أن في القضاء والقدر بعض الحرية والاختيار للإنسان في وقوع الأحداث، وبالتالي فإن الإنسان مُخير "بقدر ما" وليس مُجبر في جميع أعماله وتصرفاته. وعاد مفكري هذه الجماعة أيضاً لدعم آرائهم بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وروايات تاريخية. من جهة أخرى تذكر رواية تاريخية للمقدسى أنه أول من نادى بالمذهب القدري في دمشق هو عمرو المقصوص، فقد كان معلم معاوية الثاني "معاوية بن يزيد بن معاوية" وقد أثر به حتى أصبح قدرياً على مذهب معلمه. فلما مات والده يزيد وأراد بنو أمية مبايعته وريثاً لأبيه، وفقاً للتقليد الذي وضعه جده معاوية الأول، استشار أستاذه عمرو هذا، فأشار عليه بقوله: "إما أن تعدل، وإما أن

تعتزل". فنظر معاوية الثاني في أمره: كيف يختار، وكيف يمكن أن يكون عادلاً إذا اختار البقاء في منصب الخلافة، فوجد أنه سيكون عاجزاً عن تحقيق العدل وفقاً لمشورة أستاذه. لذلك قرر الاعتزال، أي التنازل عن الخلافة، وأعلن قراره في خطبة خطب بها أهل دمشق قائلاً: "إنا قد بُلِّينا بكم وابتليتم بنا، وأن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى منه وأحق، فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهناً بعمله، ثم تقلده أبي، ولقد كان غير خلائق به، فركب ردعه، واستحسن خطاه. لا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، ولوه من شئتم. فوالله لئن كانت الخلافة مفيناً لقد أصبتنا منها حظاً، وإن كانت شراً، فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها". ويقول المؤرخون أن معاوية الثاني خطب خطبته هذه متزاولاً عن الخلافة، ثم اعتزل الناس، ومات بعد أربعين يوماً من تنازله، فقبض بنوا أمية على عمرو المقصوص وقالوا له: أنت أفسدته وعلمته. ثم دفوه حياً.

ويذكر أحمد بن يحيى المرتضى في كتاب "المنية والأمل": أن غيلان الدمشقي - وكان زعيم القدرية في بلاد الشام - كتب إلى الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز يدعوه إلى المذهب القدري واصفاً حال الإسلام وال المسلمين في عهد الدولة الأموية وما أدى إليه هذا الحال من سوء حتى: أخيف العالم فلا يتكلم، ولا يعطى "يسْمح" الجاهل فيسأل. فاستدعاه إليه طالباً العون على إصلاح شؤون المسلمين، فاستجاب غيلان لهذا الطلب مشترطاً أن يتولى بيع خزائن الأمويين ورد حقوق الناس إلى أهلها، فقبل الخليفة ذلك.

ويروي المسعودي في "مروج الذهب" مناقشة بين غيلان الدمشقي وعمر بن عبد العزيز، حيث يعلل غيلان الدمشقي القول بالاختيار تعليلاً نظرياً مستمدًا من مفهوم العدل، وهو مفهوم ذهب غيلان في تطبيقه على العدل الإلهي مذهبًا واقعياً، وليس ميتافيزيقياً، لأنه انطلق به من معناه البشري. فيقول مخاطباً الخليفة عمر بن عبد العزيز: "... فأنظر أي الإمامين أنت، فإنه تعالى لا يقول: تعالوا إلى النار، إذن لا يتبعه أحداً، ولكن الدعاء إلى النار هم الدعاة إلى معاشي الله. فهل وجدت يا عمر حكيمًا يعيي ما يصنع، أو يصنع ما يعيي، أو يعذب على ما قضى، أو يقضى ما يعذب عليه؟ أم هل وجدت رحيمًا يكلف العباد فوق الطاقة، أو يعذبهم على الطاعة؟ أم هل وجدت عادلاً يحمل الناس على الظلم والتظلم؟ وهل وجدت صادقاً يحمل الناس على الكذب أو التكاذب بينهم؟ كفى ببيان هذا بياناً، وبالمعنى عنه عمي".

فلما تولى غيلان بيع خزائن الأمويين نادى أهل دمشق بقوله: "تعالوا إلى متعة الخونة، تعالوا إلى متعة الظلمة، تعالوا إلى متعة من خلف الرسول في أمته بغير سنته وسيرته" ثم أخذ ببيع أممته بنى أمية وهو يقول في الناس المجتمعين حوله: "من يعذرني فمن يزعم أن هؤلاء كانوا أئمة هدى، وهذا متعاهم والناس يموتون من الجوع؟" وتقول هذه الرواية أنه مرّ هشام بن عبد الملك حينذاك وغيلان يرفع صوته بذلك القول، فقال هشام: "أرى هذا يعيبني ويعيب آبائي. والله إن ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه". ثم تقول الرواية أنه حين تولى هشام عرش الأمويين، هرب غيلان إلى أرمينية وهو ينشر عيوب هشام وأخبار ظلمه وظلم بنى أمية الذين زعموا أنهم يحكمون بقضايا من الله وقدره، وأنه لا مهرب من القضاة والقدر. فأمر هشام بإحضار غيلان وصاحبـه صالح، فلما أحضرا أمر بقطع أيديهما وأرجلهما، بعد أن حبسـهما أيامـاً، ومات صالح قبل غيلان، فتوجه غيلان إلى الناس قائلاً: "قاتلـهم الله - يقصد بنـى أمـية - كـم من حقـ أمـاتهـ، وكم من باطلـ قد أحـيـوهـ، وكم من ذـليلـ في دـينـ اللهـ أـعزـوهـ، وكم من عـزيـزـ في دـينـ اللهـ أـذـلوـهـ". ففضـبـ الأـموـيونـ الذـينـ سـمعـواـ هـذـاـ الـكـلامـ منـ غـيلـانـ، فـذـهـبـواـ إـلـىـ

هشام يقولون له: "قطعت يدي غيلان ورجليه، وأطلقت لسانه. إنه أبكي الناس ونبههم إلى ما كانوا غافلين عنه. فأرسل إليه من يقطع لسانه". وقد فعل هشام ذلك، ومات غيلان دفاعاً عن حقوق المظلومين.

ويروى أن معبد الجهنمي "زعيم القدرية في العراق" قد ذهب إلى الحجاز حاملاً دعوته القدرية إلى أهلها وإلى علماء "المدينة" الذين كانوا أكثر محافظة في المسائل الدينية من أهل العراق فأخذوا بمذهبة، كما أثر بغيرهم في العراق فأخذوا بمذهبة أيضاً، وقتلهم الأمويون لخروجهم عليهم مع ابن الأشعث.

ويروى الذهبي في "ميزان الاعتدال": أن الحسن البصري كان يقول بأن الخير بقدر والشر بقدر، أي أن ليس الخير والشر من الله بصورة مطلقة، بل أن نسبتها إلى الله محدودة بحدود. وروى السيد المرتضى عن أبي الجعد أنه سمع الحسن البصري يقول: "من زعم أن المعاishi من الله جا، يوم القيمة مسوداً وجهه، وعن داود بن أبي هند أنه سمع الحسن البصري يقول: "كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاishi". وهذه العبارة وردت بنصها في رسالة الحسن البصري إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

مسألة الخلافة .. مات الرسول ولم يسمى خليفة له، في حين كان علي بن أبي طالب ابن عم الرسول، والعباس بن عبد المطلب عم الرسول، وأسامه بن زيد أحد الصحابة، مشغولين في غسل جثمانه وتكفينه، ثم حمله إلى مدفنه قرب غرفته التي مات فيها ببيت زوجه عائشة، كان منادي الأنصار ينادي في المهاجرين قائلاً: "اجلوا لنا في رسول الله نصيباً في وفاته، كما كان لنا في حياته". فبدا أول الأمر، أن ذلك لا يعني أكثر من أنهم يريدون المشاركة في عملية الدفن ليinalوا شرف هذه المشاركة. ولذلك بادر علي ابن أبي طالب بدعوة أحد الأنصار "أوس بن خولي" أن يشارك في النزول معهم إلى القبر لدفن الرسول وتوديعه الوداع الأخير. ولكن سرعان ما انكشف المعنى الذي يقصدونه بكلمة "النصيب" التي أطلقها مناديهم، فقد ظهر أنه بينما علي بن أبي طالب يدعو صاحبهم أوس إذا بزعمه، الأنصار هؤلاء يعقدون اجتماعاً في "سوقية بنى ساعدة"، ثم يعلنون أمارة المسلمين "الخلافة" بعد الرسول لزعيم الخزر الأنصاري سعد بن عبادة. فبلغ الأمر أبو بكر وعمر بن الخطاب وبعض المهاجرين، فجأوا مسرعين إلى حيث يجتمع الأنصار، وأبعدوا الناس عن سعد بن عبادة الذي أعلنه الأنصار أميراً، وشق أبو بكر طريقه إلى صدر الاجتماع وخطب في المجتمعين قائلاً: "يا معاشر الأنصار! منا رسول الله، فنحن أحق بمقامه". فأجاب الأنصار: "منا أمير ومنكم أمير". فقال أبو بكر: "منا الأمراً، وانتم الوزراء". واحتدم الجدال بين الفريقين "المهاجرين والأنصار" حتى كادت الفتنة تشتعل بينهم، لو لا أن أنقذ الموقف أحد زعماء الأنصار "أبو عبيدة بن الجراح" إذ تقدم إلى أبي بكر وبابيه بالخلافة فانقاد الأنصار لرأي أبي عبيدة، وأصبح أبو بكر أول خليفة من الخلفاء الأربع للرسول بعد وفاته، وهم الذين أطلق عليهم لقب "الخلفاء الراشدين": أبو بكر منبني قيم، ثم عمر بن الخطاب منبني عدي، ثم عثمان بن عفان منبني أمية، ثم علي بن أبي طالب منبني هاشم، وكلهم من المهاجرين. صحيح أن الأنصار انقادوا لـ كبيرهم أبي عبيدة، وصحيح أن علياً بن أبي طالب تعاون مع الخليفة الأول أبي بكر، وتعاون مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لكن الصراع بقي كامناً أول الأمر، ثم ظهر واحتدم احتداماً دموياً، وبعد معركة صفين في العام 657 بعد الميلاد، بين الخليفة علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية بن أبي سفيان، انقسم المسلمون لثلاثة أحزاب "السنة والشيعة والخوارج".

السُّنَّة .. السُّنَّة هم أصحاب الرأي بأن اختيار الخليفة حق من حقوق المسلمين، فهم الذين يقررون طريقة اختيار الخليفة، وهم الذين يقررون الصفات التي يرون ضرورة توفرها في من يتولى أمر هذا المنصب فيهم. ويقررون بأن الرسول نص نصاً خفياً على خلافة أبي بكر. وذلك ما يذكرونه من أن الرسول أمر الصحابة، أشأه مرضه الأخير، أن يصلوا جماعة وأن يكون أبو بكر إمامهم في صلاتهم هذه. فقالوا أن الإمامة في الصلاة هي الإمامة الصغرى، وأن ذلك يوحى بإسناد الرسول الإمامة الكبرى إلى أبي بكر، وهي الإمامة العامة فيسائر شؤون الإسلام والمسلمين، وقد استد عمر بن الخطاب إلى هذه الحجة في طلب البيعة لأبي بكر يوم السقيفة. ويدركون سند آخر لخلافة أبي بكر عن الرسول، هو حديث روي عن محمد بن عبد الله بن عمر بإسناده إلى محمد بن عمرو الأنباري أنه سمع عاصماً بن عمر بن قتادة يقول أن الرسول أبى عيراً من رجل إلى رجل، فقال: يا رسول الله إن جئت فلم أجده؟ يعني بعد الموت. قال: فأنت أبا بكر .. إلى آخر الحديث. ويدركون إلى ذلك أحاديث من هذا القبيل مفصلة في كتب الحديث والسيرة.

الشيعة .. الشيعة هم أصحاب الرأي بأن اختيار الخليفة حق إلهي محضاً، كشأن مفهوم النبوة والرسول عند المسلمين، ومعنى ذلك أن الله يختار شخص الخليفة، كما يختار شخص الرسول لمؤهلات خاصة به تؤهله لمتابعة أداء الرسالة النبوية، وأهمها أن يكون الخليفة أفضل الناس وأعلمهم، وبهذا المعنى يكون الخليفة إماماً للمسلمين، ويكون اختياره بواسطة الوحي المنزل على الرسول، ويصبح واجباً على الرسول تبليغ المسلمين هذا الاختيار بنص واضح صريح، ويصبح واجباً على المسلمين بعد الرسول الخضوع لهذا الاختيار والاعتقاد به كجزء من الإيمان أو كأصل من أصول العقيدة كشأن الاعتقاد بالنبوة والرسول، بحيث لا يكون الفرق بين الرسول والإمام إلا بالوحي، أي يكون الوحي خاصاً بالرسول دون الإمام. وهم يقررون بأن النص الإلهي الموحى به على الرسول بأن الإمامة هي لعلي بن أبي طالب، وهم يذكرون لإثبات ذلك "حديث الغدير"، وقصة هذا الحديث كما ترويها مصادر الشيعة والسنة على السواء هي: أن الرسول حين خرج من مكة عائداً إلى المدينة بعد حجة الوداع، أوحى إليه في الطريق الآية: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (المائدة: 67)". فأمر الرسول أصحابه فاجتمعوا في مكان عند "غدير خم"، ثم دعا إليه علياً بن أبي طالب، فوقف إلى يمينه، ثم خطب الرسول فقال: "لقد دُعيت إلى ربِّي - يقصد أن موته قريب - وإني مجيب، وأنني مغادركم من هذه الدنيا، وإنني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي - أهل بيتي". ثم أخذ بيده على ورفعها بحثيرها الجميع، وقال: "يا أهلاً الناس! ألسْت أولى منكم بآنفسكم!". قالوا: بلى. فقال: "من كنت مولاً فهذا على مولاً. اللهم وآل من والاه، وعاد من عاده، وانصر من نصره، واحذر من خذله، وادر الحق حيثما دار". فلما انتهى الرسول من خطابه، قال عمر بن الخطاب مهنياً علياً: "بخ، بخ لك يا علي، أصبحت مولاً ومولى كل مؤمن ومؤمنة". ثم عاد الرسول إلى خيمته ونصب خيمة أخرى بجانبها لعلي، ثم أمر المسلمين أن يبايعوه بالإمامية، ويسلموا عليه بأمرة المؤمنين رجالاً ونساءً. هذا الحديث متافق على صحته، ولكن يختلفون في دلالته، ومركز الاختلاف كلمة: "المولى" أو "الموالاة" الواردة في الحديث. فالشيعة تقول أن الكلمة أطلقها الرسول على نفسه أولاً حين قال: "من كنت مولاً وهي تعني

هنا: من كنت ولي أمره دينيا، ثم أطلقها على علي ثانيا حين قال مباشرة: "فهذا علي مولاه"، فهي إذن تعني بالنسبة لعلي ما تعنيه بالنسبة للرسول، أي أن عليا في الحديث قد نصبه الرسول ولها لأمر المسلمين كما كان هو، أي إماما لهم، إذ لا يجوز أن يكون نبيا مثله، لأن محمد خاتم الأنبياء ولانبي بعده. غير أن الفرقا، الآخرين من المسلمين، قالوا أن كلمة "المولى" أو "المولا"، وكل ما ورد في الحديث من أفعال ومشتقات الكلمة، إنما تدل على المودة والمحبة فقط، وليس تعني النص على الإمامة.

الخوارج .. بعد انتهاء معركة صفين بخدعة التحكيم المعروفة، وانحسرت عن خلع أحد الحكمين "أبي موسى الأشعري" صاحبه عليا بن أبي طالب وإقرار الحكم الثاني "عمرو بن العاص" صاحبه معاوية على تولي الخلافة. وكان من أمر الحكمين: أن الخوارج حملوا عليا بن أبي طالب على التحكيم أولا، وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس. فلم يرضوا بذلك، وقالوا هو منك، وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله. فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرضى علي بذلك خرجت الخوارج عليه، وقالوا: لم حكمت الرجال. لا حكم إلا الله. كان أول شعار أعلنوه الخوارج بعد حادث "التحكيم"، هو قولهم: "الحكم لله لا للرجال". وهذا كان أول عنصر يبرز أساسا للعناصر الأخرى التي ست تكون منها نظريتهم. "الحق حق الله"، فليس لأحد إذن أن يتصرف به، أو يجعل أحدها من الرجال حكما يحكم به على هواه، هذا هو أساس نظرية الخوارج، وقد بنوا على هذا الأساس ذاته كل موقف نظري وعملي اتخاذوه، منذ انفصالهم عن جيش علي في "صفين" تجاه كل فريق ومذهب في الإسلام، وتحت راية هذا الشعار ذهبوا إلى "النهرowan" يقاتلون علي بالسيف. تطبيقا لهذا المبدأ قالوا أنه ليس لرسول إذا وضع لأمته أمرا أن ينكص على عقيبه، وما دام علي قد قبل التحكيم في حق وضعه الرسول فهو إذن قد نكس على عقيبه، ولقد جادلهم علي في هذا الأمر، لكن لم يصغوا إلى حجته، وحكموا بکفره هو ومعاوية وكل من شارك في حرب الجمل وكل من رضي بالتحكيم في صفين، وأعلنوا توبتهم عن خطئتهم إذ رضوا بالتحكيم، ورفعوا شعار القتال لكل "كافر". وبالرغم من انهزامهم في معركة "النهرowan" أمام جيش علي، لم ينسوا عن القتال، ولم يتورعوا أن يعهدوا إلى رجلين منهم أن يقتل أحدهما عليا بن أبي طالب وأن يقتل الآخر معاوية، فتبعد أولهما "عبد الرحمن بن ملجم"، وأخفق الثاني.

الخلاف العقائدي والديني .. تعمقت الخلافات العقائدية والدينية بين تلك الأحزاب وأدت لتشكل المذاهب الثلاثة "السنّة والشيعة والخوارج".

الخلاف العقائدي .. أضيفت معتقدات أخرى على العقائد، فاعتبرت السنّة القضاة والقدر "خيره وشره من الله" هو الركن السادس لأركان الإيمان. بينما اعتبرت الشيعة الإمامية "الحق بالخلافة بعد الرسول مباشرة لعلي بن أبي طالب ثم لأولاده بالتتابع" هي الركن السادس لتلك الأركان. أما الخوارج فأضافت العمل لتلك الأركان. فتفرد الخوارج في تفسيرهم الإيمان دون سائر المسلمين. فقد كان الإيمان منذ عهد الرسول حتى ذلك الحين يعني الاعتقاد الداخلي ثم الإقرار به نطقا باللسان، لكن الخوارج زادوا في هذا المفهوم عنصرا آخر هو العمل الخارجي العضوي، فلا يكفي أن يضم الإيمان اعتقاده ليكون مؤمناً بل لا بد أن يتطابق الاعتقاد والعمل.

الخلافات الدينية .. الخلاف الأول هو حول الصفات والمعايير الواجب توفرها في شخص الخليفة أو الإمام. فرأي السنة يجب أن يكون الخليفة من أهل العلم ومن قبيلة قريش. أما رأي الشيعة بالإمام فيجب أن يكون معصوماً عن الخطأ كالرسول، لم تصدر عنه معصية، وأن يكون أفضل علماء من غيره في زمانه. وأما رأي الخارج في الخليفة فكان غير مشروط، لأن يكون الخليفة من بنى هاشم أو قبيلة قريش أو من القبائل العربية أو من الشعوب غير العربية، حتى لو كان "عبدًا حبشاً". والخلاف الثاني هو في حكم الكبائر "القتل". انفرد الخارج مرة أخرى دون سائر المسلمين، وذلك في حكمهم بالكبائر "القتل". فقد اعتبرت مرتکب الكبيرة "القاتل" كافر.

تساؤلات .. هل يمكن استنباط الركن السادس من أركان الإيمان في أيٌ من المذاهب الثلاثة من القرآن؟
استناداً لمبدأ "القرآن" فإن تحديد الأركان ومنها تحديد أركان الإيمان حسرا على القرآن.
الا يُعتبر الإيمان بالقضاء والقدر عند السنة هو تجاوز لحدّ مبدأ "الحديث"؟ حيث أضيف ركن لأركان الإيمان
استناداً لحديث.

الا يُعتبر الإيمان بالإمامنة عند الشيعة، والإيمان بالعمل عند الخارج، هو تجاوز لحدّ مبدأ "الإجماع"؟ حيث
أضيف ركن لأركان الإيمان استناداً لإجماع الشيعة "فئة من المسلمين"، وأضيف ركن لأركان الإيمان
استناداً لإجماع الخارج "فئة من المسلمين".

العبادات .. العادات أو أركان الإسلام هي خمسة أركان: "الشهادة، الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج".
فانطلقت من هذه الفكرة الثانية للبحث عن آيات في القرآن، وعن أحاديث في كتب الحديث، وعن
قصص في الكتب الدينية، للاستشهاد بها على هذه الفكرة.

مسألة الآية الواحدة .. كما في العقائد كذلك في العبادات لم أجده آية واحدة تجمع فيها الأركان الخمسة
لإسلام للاستشهاد بها.

مسألة الشهادة .. لم أجده آية للاستشهاد بها على الشهادة. فالشهادة كما تعلمت هي للإعلان الظاهري عن
الدخول في الإسلام، ولكن لم أقرأ قط، ولم أسمع قط، عن أحكام الشهادة كأحكام المعرفة في
بقية العبادات.

تساؤل .. أ تكون الشهادة ركناً مضافاً لأركان الإسلام في العبادات كما أضيف ركن القضاء والقدر عند
السنة، والإمامنة عند الشيعة، والعمل عند الخارج، لأركان الإيمان في العقائد؟
لو كنت نهجت نهج "عدم الأحكام المسبقة" لما عرفت ما هي الشهادة من القرآن، فكيف لي استنباط: أن
الشهادة هي ركن من أركان الإسلام، وهي عبادة من العبادات؟

ووجدت في العبادات الآيات:

- "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. (البقرة:110)"
- "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. (البقرة:183)"
- ".. ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .. (آل عمران:97)"

مسألة الصلاة .. وجدت في الصلاة الآيات:

- ".. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (النساء:103)"
- "حافظوا على الصلوات والصلاحة الوسطى .. (البقرة:238)"
- "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برسومكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ما فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم .. (المائدة:6)"

تساؤل .. ربما هناك آيات أخرى في الصلاة، تُزيد في توضيح كيفية إقامة الصلاة، لم أعثر عليها. ويمكن تقبّل عدم ذكر تفصيلات في القرآن عن إقامة الصلاة كـ"الركعة" مثلاً، فالشرح والتوضيح والتطبيق هو في الحديث والسيرة وليس في القرآن.

وإذا كان صحيحاً أنه لا يوجد في القرآن شيءٌ عن عدد الصلوات في اليوم، ولا عن أوقاتها، ولا عن عدد ركعاتها، حيث لم أجده آية في القرآن تذكر شيئاً عن تلك الأمور، فالتساؤل: لماذا لم يذكر شيئاً في القرآن عن تلك الأمور؟ هذا مع العلم أنه توجد آيات في القرآن حددت بعض الأمور بأدق تفصيلاتها كـ"الميراث" مثلاً، كما في الآيتين: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثاً ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منها السادس مما ترك إن كان له ولد وإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثالث فإن كان له إخوة فلأمه السادس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباءكم وأبناءكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيمًا. ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية يوصي بها أو دين وبها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله آخر أو اخت فلكل واحد منها السادس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثالث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله علیم حليم (النساء:11-12)." .

الزكاة .. وجدت في الزكاة الآيات:

- "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله (التوبة:60)"
- "وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان"

متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أتموا حده يوم حصاده .. (الأنعام: 141)

الصيام .. وجدت في الصيام الآيات:

- "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن .. فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخطيب الأبيض من الخطيب الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها .. (البقرة: 187)"
- "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتذكرة. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون (البقرة: 184)"

الحج .. وجدت في الحج الآيات:

- "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتي من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويدركوا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقضوا تفthem ولزيوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (الحج: 29-27)"
- "إن الصفا والمروءة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم (البقرة: 158)"
- "الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .. (البقرة: 197)"
- "وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحضرتم مما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمنع بالعمرة إلى الحج مما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام .. (البقرة: 196)"
- "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشرع الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين (البقرة: 198)"
- "والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خيراً فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخريناها لكم لعلكم تشکرون (الحج: 36)"

تساؤل .. ربما هناك آيات أخرى في الزكاة أو في الصيام أو في الحج، تُزيد في توضيح كيفية ممارسة تلك العبادات، لم أعثر عليها. وإذا كانت لا توجد آية أو آيات في القرآن تحديد قيمة الزكاة فأرجى ذلك رحمة للعالمين.

التساؤل: لماذا لم يذكر في القرآن تفصيلات عن إقامة الصلاة، وهي خمس مرات في اليوم، بقدر التفصيلات في الصيام في شهر رمضان، والتفصيلات في الحج إلى بيت الله الحرام، مع أن الصيام والحج مرة واحدة في

السنة؟ وفوق ذلك فإن الحجَّ لمن استطاع إليه سبيلاً، وربما يكون مرة واحدة في العمر.

الرحمة للعالمين .. ورد في القرآن الآية: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء، 107)".

أرى أن هذه الآية هي "الهدف من الإسلام" في كل زمان ومكان. وكل ما ورد في القرآن فيما عدتها هو ليس أكثر من مجرد نموذج تطبيقي لتحقيق هذا الهدف في زمان ومكان.

نزل القرآن في مكة - أم القرى - "وهذا كتاب أنزلناه مباركاً مصدق الذي بين يديه ولتذر أم القرى ومن حولها .. (الأنعام، 92) وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتذر أم القرى ومن حولها .. (الشورى، 7)". ومن الطبيعي أن يتبلور القرآن بتأثير الظروف "الجغرافية والتاريخية والحضارية" التي نزول فيها.

الظرف الجغرافي .. ضحالة وجفاف شبه الجزيرة العربية والتعطش فيها للنبات والماء، جعل وصف الجنة في القرآن "جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار (البقرة، 266) جنة من نخيل وعنبر فتجدر الأنهار (الإسراء، 91)". بينما لو نزل القرآن في بيئه باردة مظلمة والتعطش فيها للدفيء والشمس، لكان وصف الجنة في القرآن "شواطئ من الرمال تسقط فوقها الشمس"، بدلاً من "حدائق نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار".

الظرف التاريخي .. نزول القرآن بعد التوراة والإنجيل، ووجود أقليات يهودية ومسيحية في شبه الجزيرة العربية، وبالأخص في يثرب "المدينة"، جعل الحكم وال عبر في القرآن من قصص أقوام تلك الديانات "بني إسرائيل وآل عمران".

بني إسرائيل .. "لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون (المائدة، 70) وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (الصف، 9) إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (النمل، 76)".

آل عمران .. "ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفحنا فيه من روحنا وصدقنا بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (التحريم، 12) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوا وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوا يقيناً (النساء، 157) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أنه يكُون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً (النساء، 171) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قادر (المائدة، 17)."

اليهود والنصارى .. "وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون

قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (التوبه.30) وقالت اليهود والنصارى نحن أبنا الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشا ويعذب من يشا والله ملك السماوات والأرض
وما بينهما وإليه المصير (البقرة.18) لتجد أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجد أن أقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا إننا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكرون (المائدة.82)."

بينما لم تذكر في القرآن قصص عن أصحاب الديانات الأخرى كالصابئة والمجوس، رغم وجود هذه الديانات
قبل نزول القرآن، كاليهودية وال المسيحية، ويقطن أتباعها المناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربية، الصابئة في
بلاد ما بين الرافين، والمجوس في بلاد فارس. ورغم ذكر الصابئة والمجوس في القرآن "إن الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون (البقرة.82) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله
يفصل بينهم يوم القيمة إن الله على كل شيء شهيد (الحج.17)".

وعلى الرغم من أن مملكة سبا كانت في اليمن، في شبه الجزيرة العربية، لم تذكر في القرآن قصص عن
مملكة سبا سوى في الآيات:

"لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذاتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل.
ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجاري إلا الكفور. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
وقدرنا فيها السير سيراً فيها ليالي وأياماً آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم
أحاديث ومزقتاهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (سبا.15-19)."

بينما ذُكر في القرآن قصص عن الفراعنة في وادي النيل الأبعد من اليمن، وكانوا قبل مملكة سبا بمئات
السنين وقبل نزول القرآن بآلاف السنين. ذلك لارتباطهم بقصص بنى إسرائيل:

"وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنتظرون (البقرة.50) وجاءونا ببني إسرائيل البحر
فأتبعهم فرعون وجندوه بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا
من المسلمين (يونس.90) وإن قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم
سو العذاب ويدبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلا من ربكم عظيم (إبراهيم.6) إن فرعون
علا في الأرض وجعل أهلها شيئاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين
(القصص.4) ونادي فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلأ تبصرون
(الزخرف.51) وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من
فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين (التحريم.11)."

إذاً لو نزل القرآن في بلاد فارس أو الهند أو الصين لكان الحكم وال عبر في القرآن من قصص
المجوسية أو الهندوسية أو البوذية أو الكونفوشيوسية، بدلاً من حكم وعبر قصص بنى إسرائيل وأل
عمران.

الظرف الحضاري .. رواج الشعر والخطابة في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً في مكة لوجود الكعبة - المركز الديني والتجاري ومقصد الحجاج والتجار من جميع القبائل العربية - قُبيل وخلال نزول القرآن جعل من الآيات القرآنية معجزات أدبية في اللغة العربية:

"إنا أنزلناه قرآننا عربياً لعلكم تعقلون (يوسف.2) كتاب فصلت آياته قرآننا عربياً لقوم يعلمون (فصلت.3)" إنما جعلناه قرآننا عربياً لعلكم تعقلون (الزخرف.3) ولو جعلناه قرآننا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أَعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (فصلت.44) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبادنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (البقرة.23-24) قل لئن اجتمع الناس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لي بعض ظهيراً (الإسراء.88)".

إذاً لو نزل القرآن في بلاد الإغريق في عهد الفلاسفة لنزل باللغة الإغريقية بدلاً من اللغة العربية، وكانت آياته مُعجزات فلسفية بدلاً مُعجزات أدبية.

استقرأ، مما سبق لو نزل القرآن في العصر الحالي لنزل باللغة الإنكليزية، وأحتوى على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو الرحمة للعالمين في العصر الحالي.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان - وثيقة تاريخية هامة في تاريخ حقوق الإنسان - صاغه ممثلون من مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعية العامة - لهيئة الأمم المتحدة - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في باريس في 10 كانون الأول / ديسمبر 1948 بموجب القرار 217 ألف بوصفي أنه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم. وهو يحدد، للمرة الأولى، حقوق الإنسان الأساسية التي يتبع حمايتها عالمياً. وترجمت تلك الحقوق إلى 500 لغة من لغات العالم.

الدبياجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضى إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرينه إليه عامة البشر انطلاقاً عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة. ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كان من الجوهرى تعزيز تنمية العلاقات الودية بين الدول، ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قديماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراح مراعاة حقوق الإنسان والحرريات الأساسية واحترامها.

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحرريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد. فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحرريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

.1 المادة

يولد جميع الناس أحرازاً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجودان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

.2 المادة

لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحرريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي السياسي وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر. وفضلاً عن ذلك لا يجوز التمييز على أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواءً أكان مستقلاً أو موضوعاً تحت الوصاية أو غير متتمتع بالحكم الذاتي أم خاضعاً لأي قيد آخر على سيادته.

.3 المادة

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه.

.4 المادة

لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويُحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما.

.5 المادة

لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة.

.6 المادة

لكل إنسان، في كل مكان، الحق بأن يُعترف له بالشخصية القانونية.

.7 المادة

الناس جميعاً سواء أمام القانون، وهم يتساون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الإعلان ومن أي تحريض على مثل هذا التمييز.

.8 المادة

لكل شخص حق اللجوء إلى المحاكم الوطنية المختصة لإنصافه الفعلي من أي أعمال تنتهك الحقوق الأساسية التي يمنحها إياه الدستور أو القانون.

.9 المادة

لا يجوز اعتقال أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

.10 المادة

لكل إنسان، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، الحق في أن تنظر قضيته محكمة مستقلة ومحايدة، نظراً منصفاً وعلنياً، للفصل في حقوقه والتزاماته وفي أيّة تهمة جزائية توجه إليه.

.11 المادة

(1) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن يثبت ارتكابه لها قانوناً في محاكمة علنية تكون قد وفرت له فيها جميع الضمانات الالزمة للدفاع عن نفسه.

(2) لا يُدان أي شخص بجريمة بسبب أي عمل أو امتناع عن عمل لم يكن في حينه يشكل جرماً بمقتضى القانون الوطني أو الدولي، كما لا تقع عليه أيّة عقوبة أشدّ من تلك التي كانت سارية في الوقت الذي ارتكب فيه الفعل الجرمي.

.12 المادة

لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته، ولا لحملات تمس شرفه وسمعته. ولكل شخص حق في أن يحميه القانون من مثل ذلك التدخل أو تلك الحملات.

المادة 13.

- (1) لـكـل فـرد حقـ في حرـية التـنـقل وفي اـختـيـار مـحل إـقـامـتـه دـاخـل حدـود الـدـولـة.
- (2) لـكـل فـرد حقـ في مـغـادـرـة أيـ بلدـ، بماـ فـي ذـلـك بلـدـهـ، وفيـ العـودـة إـلـى بلـدـهـ.

المادة 14.

- (1) لـكـل فـرد حقـ التـمـاس مـلـجـأـ في بلـدـانـ أـخـرـى وـالـتـمـتـع بـهـ خـلاـصـاـ منـ الـاضـطـهـادـ.
- (2) لاـ يـمـكـنـ التـذـرـعـ بـهـذاـ الحـقـ إـذـاـ كـانـتـ هـنـاكـ مـلـاحـقـةـ نـاـشـئـةـ بـالـفـعـلـ عنـ جـرـيمـةـ غـيرـ سـيـاسـيـةـ أوـ عنـ أـعـمـالـ تـاقـضـ مـقـاصـدـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ وـمـبـادـئـهـاـ.

المادة 15.

- (1) لـكـل فـرد حقـ التـمـتع بـجـنـسـيـةـ ماـ.
- (2) لاـ يـجـوزـ تعـسـفـاـ، حـرـمانـ أيـ شـخـصـ منـ جـنـسـيـتـهـ وـلـاـ منـ حـقـهـ فيـ تـغـيـيرـ جـنـسـيـتـهـ.

المادة 16.

- (1) لـلـرـجـلـ وـالـمـرـأـةـ، مـتـىـ أـدـرـكـاـ سـنـ الـبـلـوـغـ، حقـ التـزـوجـ وـتـأـسـيـسـ أـسـرـةـ، دونـ أيـ قـيـدـ بـسـبـبـ العـرـقـ أوـ الـجـنـسـيـةـ أوـ الـدـينـ. وـهـمـاـ مـتـساـويـانـ فـيـ الـحـقـوقـ لـدـىـ التـزـوجـ وـخـلـالـ قـيـامـ الزـوـاجـ وـلـدـىـ انـحلـالـهـ.
- (2) لاـ يـعـقـدـ الزـوـاجـ إـلـاـ بـرـضاـ الـطـرـفـينـ المـزـمـعـ زـوـاجـهـماـ رـضاـ، كـامـلـ لـاـ إـكـرـاءـ فـيـهـ.
- (3) الـأـسـرـةـ هـيـ الـخـلـيـةـ الـطـبـيـعـيـةـ وـالـأـسـاسـيـةـ فـيـ الـمـجـتمـعـ، وـلـهـاـ حقـ التـمـتعـ بـحـمـاـيـةـ الـمـجـتمـعـ وـالـدـولـةـ.

المادة 17.

- (1) لـكـلـ فـردـ حقـ فيـ التـمـلـكـ، بمـفـرـدـهـ أوـ بـالـاشـتـراكـ معـ غـيرـهـ.
- (2) لاـ يـجـوزـ تـجـريـدـ أحـدـ مـلـكـهـ تعـسـفـاـ.

المادة 18.

- لـكـلـ شـخـصـ حقـ فيـ حرـيةـ الـفـكـرـ وـالـوـجـدانـ وـالـدـينـ، وـيـشـمـلـ هـذـاـ الحـقـ حرـيـتـهـ فـيـ تـغـيـيرـ دـينـهـ أوـ مـعـقـدـهـ، وـحرـيـتـهـ فـيـ إـظـهـارـ دـينـهـ أوـ مـعـقـدـهـ بـالـتـعـبـدـ وـإـقـامـةـ الشـعـائـرـ وـالـمـمارـسـةـ وـالـتـعـلـيمـ، بمـفـرـدـهـ أوـ مـعـ جـمـاعـةـ، وـأـمـامـ الـمـلـأـ أوـ عـلـىـ حـدـةـ.

المادة 19.

- لـكـلـ شـخـصـ حقـ التـمـتعـ بـحـرـيـةـ الرـأـيـ وـالـتـعبـيرـ، وـيـشـمـلـ هـذـاـ الحـقـ حرـيـتـهـ فـيـ اـعـتـاقـ الـآـراءـ، دونـ مـضـايـقةـ،

وفي التماس الأنبا، والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة دونما اعتبار للحدود.

.المادة 20.

- (1) لـكل شخص حق في حرية الاشتراك في الاجتماعات والجمعيات السلمية.
- (2) لا يجوز إرغام أحد على الانتماء إلى جمعية ما.

.المادة 21.

- (1) لـكل شخص حق المشاركة في إدارة الشؤون العامة لبلده، إما مباشرة وإما بواسطة ممثلي يختارون في حرية.
- (2) لـكل شخص، بالتساوي مع الآخرين، حق تقلد الوظائف العامة في بلده.
- (3) إرادة الشعب هي مناط سلطة الحكم، ويجب أن تتجلى هذه الإرادة من خلال انتخابات نزيهة تجري دورياً بالاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين الناخبين وبالتالي التصويت السري أو بإجراً مكافئ من حيث ضمان حرية التصويت.

.المادة 22.

لـكل شخص، بوصفه عضواً في المجتمع، حق في الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن تتوفر له، من خلال المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتلقى مع هيكل كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية التي لا غنى عنها لكرامته ول تمامي شخصيته في حرية.

.المادة 23.

- (1) لـكل شخص حق العمل، وفي حرية اختيار عمله، وفي شروط عمل عادلة ومُرضية، وفي الحماية من البطالة.
- (2) لجميع الأفراد، دون أي تمييز، الحق في أجر متساوٍ على العمل المتساوي.
- (3) لـكل فرد يعمل حق في مكافأة عادلة ومُرضية تكفل له ولأسرته عيشة لائقة بالكرامة البشرية، و تستكمِل، عند الاقتضاء، بوسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
- (4) لـكل شخص حق إنشاء النقابات مع آخرين والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه.

.المادة 24.

لـكل شخص حق في الراحة وأوقات الفراغ، وخصوصاً في تحديد معقول لساعات العمل وفي إجازات دورية مأجورة.

.المادة 25.

- (1) لـكـل شخص حق في مستوى معيشة يكـفي لضمان الصحة والرفاهـة له ولـأسرته، وخاصـةً على صعيد المـأكـل والمـلـبس والمـسـكن والـعـناـية الطـبـيـة وصـعيد الـخـدـمـات الـاجـتمـاعـيـة الـضـرـورـيـة، وـلهـ الحقـ فيـ ماـ يـأـمـنـ بـهـ الغـوـائـلـ فـيـ حـالـاتـ الـبـطـالـةـ أـوـ الـمـرـضـ أـوـ الـعـجـزـ أـوـ التـرـمـلـ أـوـ الشـيـخـوـخـةـ أـوـ غـيرـ ذـلـكـ منـ الـظـرـوفـ الـخـارـجـةـ عـنـ إـرـادـتـهـ وـالـتـيـ تـفـقـدـهـ أـسـبـابـ عـيـشـهـ.
- (2) للأـمـوـمـةـ وـالـطـفـولـةـ حقـ فيـ رـعـاـيـةـ وـمـسـاعـدـةـ خـاصـتـيـنـ.ـ وـلـجـمـيـعـ الـأـطـفـالـ حقـ التـمـتـعـ بـذـاتـ الـحـمـاـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ سـوـاـ وـلـدـواـ فـيـ إـطـارـ الزـوـاجـ أـوـ خـارـجـ هـذـاـ إـطـارـ.

.المادة 26.

- (1) لـكـلـ شـخـصـ حقـ فيـ التـعـلـيمـ.ـ وـيـجـبـ أـنـ يـوـفـرـ التـعـلـيمـ مـجـانـاـ،ـ عـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ مـرـحلـاتـ الـابـتدـائـيـةـ وـالـأـسـاسـيـةـ.ـ وـيـكـونـ التـعـلـيمـ الـابـتدـائـيـ إـلـزـامـيـ.ـ وـيـكـونـ التـعـلـيمـ الفـنـيـ وـالـمـهـنـيـ مـتـاحـاـ لـلـعـمـومـ.ـ وـيـكـونـ التـعـلـيمـ الـعـالـيـ مـتـاحـاـ لـلـجـمـيـعـ تـبـعـاـ لـكـفـاـتـهـ.
- (2) يـجـبـ أـنـ يـسـتـهـدـفـ التـعـلـيمـ التـنـمـيـةـ الـكـامـلـةـ لـشـخـصـيـةـ الـإـنـسـانـ وـتـعـزـيزـ اـحـتـرـامـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ وـالـحـرـياتـ الـأـسـاسـيـةـ.ـ كـمـاـ يـجـبـ أـنـ يـعـزـزـ التـفـاهـمـ وـالـتـسـامـحـ وـالـصـدـاقـةـ بـيـنـ جـمـيـعـ الـأـمـمـ وـجـمـيـعـ الـفـئـاتـ الـعـنـصـرـيـةـ أـوـ الـدـينـيـةـ،ـ وـأـنـ يـؤـيـدـ الـأـنـشـطـةـ الـتـيـ تـضـطـلـعـ بـهـاـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ لـحـفـظـ السـلـامـ.
- (3) لـلـآـبـاءـ،ـ عـلـىـ سـبـيلـ الـأـوـلـوـيـةـ،ـ حقـ اـخـتـيـارـ نـوـعـ التـعـلـيمـ الـذـيـ يـعـطـيـ لـأـوـلـادـهـ.

.المادة 27.

- (1) لـكـلـ شـخـصـ حقـ المـشـارـكـةـ الـحـرـةـ فـيـ حـيـاةـ الـمـجـتمـعـ الـثـقـافـيـةـ،ـ وـفـيـ الـاستـمـتـاعـ بـالـفـنـونـ،ـ وـالـإـسـهـامـ فـيـ التـقـدـمـ الـعـلـمـيـ وـفـيـ الـفـوـائدـ الـتـيـ تـجـمـعـ عـنـهـ.
- (2) لـكـلـ شـخـصـ حقـ فـيـ حـمـاـيـةـ الـمـصالـحـ الـمـعـنـوـيـةـ وـالـمـادـيـةـ الـمـتـرـتبـةـ عـلـىـ أـيـ إـنـتـاجـ عـلـمـيـ أـوـ أـدـبـيـ أـوـ فـنـيـ منـ صـنـعـهـ.

.المادة 28.

- لـكـلـ فـرـدـ حقـ التـمـتـعـ بـنـظـامـ اـجـتمـاعـيـ وـدـولـيـ يـمـكـنـ أـنـ تـتـحـقـقـ فـيـ ظـلـلـهـ الـحـقـوقـ وـالـحـرـياتـ الـمـنـصـوصـ عـلـيـهـاـ فـيـ هـذـاـ إـلـاعـانـ تـحـقـقـاـ تـامـاـ.

.المادة 29.

- (1) عـلـىـ كـلـ فـرـدـ وـاجـبـاتـ إـلـاـ الجـمـاعـةـ،ـ الـتـيـ فـيـهاـ وـحدـهاـ يـمـكـنـ أـنـ تـمـوـ شـخـصـيـتـهـ النـمـوـ الـحـرـ الـكـامـلـ.
- (2) لـاـ يـخـضـعـ أـيـ فـرـدـ،ـ فـيـ مـارـسـةـ حـقـوقـهـ وـحـرـياتـهـ،ـ إـلـاـ لـلـقيـودـ الـتـيـ يـقـرـرـهـاـ الـقـانـونـ مـسـتـهـدـفـاـ مـنـهـاـ،ـ حـسـراـ.

ضمان الاعتراف الواجب بحقوق وحريات الآخرين واحترامها، والوفاء بالعادل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام ورفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي.

(3) لا يجوز في أي حال أن تُمارس هذه الحقوق على نحو يناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 30

ليس في هذا الإعلان أي نص يجوز تأويله على نحو يفيد انطلاعه على تخويف أيّة دولة أو جماعة، أو أيّ فرد، أيّ حقٍ في القيام بأيّ نشاط أو بأيّ فعل يهدف إلى هدم أيّ من الحقوق والحرّيات المنصوص عليها فيه.

حقوق الإنسان .. لمتابعة انتهاكات حقوق الإنسان في الدول الموقعة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تشكّل "مجلس حقوق الإنسان" في هيئة الأمم المتحدة. وبما أن أعضاء هذا المجلس هم موظفون في حكوماتهم، فبدلاً من متابعة انتهاكات حقوق الإنسان في دولهم يدافعون عنها. لكن على الأقل الدول المتخصصة تفضح كل دولة انتهاكات حقوق الإنسان في دولة خصمتها.

إذا استثنينا "مجلس حقوق الإنسان" فلا أعلم لكم منظمة في العالم تعمل في مجال حقوق الإنسان. وقد عملت في أقدم وأكبر تلك المنظمات مدة نصف قرن من الزمن. فهذه المنظمات هي منظمات أهلية كالجمعيات الخيرية ليس لها مخالف ولا أنبياب، ورغم أنها منظمات مستقلة، ولا يحق للعضو العمل في قضايا بلاده "حتى لا ينحاز للحكومة أو ضدها"، لكن للأسف يستغل بعض تقارير تلك المنظمات من قبل بعض الدول العظمى لتنفيذ حروبها المخططة مسبقاً. كما حدث في حرب تحرير الكويت في العام 1991، حيث استغلت الولايات المتحدة الأمريكية خبراً كاذباً من إحدى تلك المنظمات لتبرير الحرب. هذا بغض النظر إن كنا مؤيدين أو معارضين لتلك الحرب.

وما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من حرب على العراق في العام 2003، وما قام به الناتو في مساعدة الثوار في ليبيا في العام 2011، ليس من أجل حقوق الإنسان، وإنما هي حرب الكيان الصهيوني والناتو في حرب الكيان الصهيوني على لبنان في العام 2006، وفي حروب الكيان الصهيوني على غزة في العامين 2008-2009 وفي العام 2014. فمن يتوهם ويحمل أن الموضوع يتعلق بحقوق الإنسان عليه الاستيقاظ من وهمه وحلمه. نحن العرب دمنا لا قيمة له، لهذا يسكت العالم عن الجرائم التي تقام بحقنا. وهذا لا ينطبق علينا وحدنا فقط، وسأكتفي بمثال "رووندا"، ذلك البلد الإفريقي الصغير الذي ذُبح فيه خلال أسبوعين نصف مليون إنسان، وكانت القوات الفرنسية والبلجيكية في عين المكان، واكتفت بانتشال رعاياها فقط. وهذا العدد من الضحايا هو أكبر من مجموع ضحايا الأمة العربية - باستثناء الجزائر - منذ بداية القرن الماضي وحتى الآن.

ما يجعل دم قوم غالٍ أو رخيص هو قوة ذلك القوم أو ضعفه، وليس منظمات حقوق الإنسان. فعندما يُجرح يهودي في الكيان الصهيوني تقوم المنظمات اليهودية في العالم بسرعة الضوء، وهي منظمات ذو مخالف وأنبياب، بالتكثير عن مخالفتها وأنبيابها، لذا نرى العالم يتحرك، فنعتقد واهمين حالمين أن العالم أصبح يعني حقوق

الإنسان. وننسى أنه في الوقت ذاته يكون عدد القتلى من أهلكنا في فلسطين بالعشرات أو بالمئات. ولا نرى تحركاً للعالم. فنعتقد أن العالم لا يرى إلا بعين واحدة. ولا نعلم أن عين العالم تحتاج لنور، وعلينا نحن إعطائها هذا النور.

الخلاصة من الحديث أن حقوق الإنسان شيء وكيف يتم تطبيق حقوق الإنسان شيء آخر، ك الإسلام تماماً، فالإسلام شيء وكيف يتم تطبيق الإسلام شيء آخر.

وجهة نظر .. أعتقد أنه لو استمر المسلمون على نهج "الناسخ والمنسوخ" لربما توصلوا لما يشبه "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".

الناسخ والمنسوخ .. ورد في القرآن الآية: "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قادر (البقرة:106)".

اختلاف المسلمين في عدد الآيات المنسوخة. رتب عبد الله الشنقيطي عدد الآيات المنسوخة حسب من يدعوها: 5-الدهلوi، 20-السيوطى، 22-محمد عبدالعظيم الزرقاني، 66-عبدالقاهر، 134-النحاس، 200-مكي بن أبي طالب، 210-ابن برkat، 213-الأجهوري، 213 -ابن سلامة، 214-ابن حزم، 218-السكري، 247-ابن الجوزي، 293-مصطفى زيد.

من الثابت لجميع المسلمين أن إحدى الآيات .. فول وجهك شطر المسجد الحرام .. (البقرة:144) .. فول وجهك شطر المسجد الحرام .. (البقرة:149) .. فول وجهك شطر المسجد الحرام .. (البقرة:150)" قد نسخت الآية "فَأَيْنَا مَا تَوَلَّا فَثُمَّ وَجَهَ اللَّهَ (البقرة:115)". لأن قبلة المسلمين هي المسجد الحرام.

ومن الثابت لجميع المسلمين أن الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ شَيْطَانٍ فَاجْتِبُوهُ لِعُلُوكِكُمْ (المائدة:90)" قد نسخت الآية "يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .. (البقرة:219)". لأن الخمر والميسر محظوظ في الإسلام.

فخلال حياة الرسول في المدينة "عقد من الزمن" نسخت آيتين على الأقل. الأولى من العظمة بحيث حددت قبلة المسلمين. والثانية تحريم ما لم يستطع العالم تحريمه بعد قرون من الزمن، حيث حرم الخمر في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن الماضي ولم يصمد هذا التحريم، وكذلك حرم الخمر في الاتحاد السوفيتي السابق في نهاية القرن الماضي ولم يصمد هذا التحريم.

فإذا كان خلال عقد من الزمن نسخت آيتين في هذه الدرجة من الأهمية، فكم من آية كان من الواجب نسخها منذ وفاة الرسول وحتى الآن؟ مع الأخذ بعين الاعتبار أن الإسلام أصبح في كل أرجاء العالم، ولم يبقى محصوراً في شبه الجزيرة العربية "كما كان في حياة الرسول"، وأن التطور في تسارع مطرد، مما كان يحتاج لقرن من الزمن أصبح يكفيه عقداً من الزمن.

بَيْنَتْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَضَافُوا رَكْنًا لِأَرْكَانِ الإِيمَانِ "الْقَضَا، وَالْقَدْرُ"، فَلَمَّاذَا لَمْ يَنْهِجُوا نَهْجَ الرَّسُولِ بِنَسْخِ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تَتَوَافَّقُ مَعَ الْحَقَائِقِ الَّتِي أُكْتَشَفَتْ خَلَالِ الْحَاضِرَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ.

تساؤلات .. هناك تساؤلات حول كثيرون من الآيات أذكر بعض الأمثلة:

* "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحت قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (المائدة:34)."

* "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين (النساء:11)."

تساؤل .. ما حكم الرجال الذين لا ينفقون على زوجاتهم؟ وما حكم الرجال الذين تتفق عليهم زوجاتهم؟ ألم تتفق خديجة بنت خويلد على زوجها "الرسول"؟

* "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنَ مِنْ رِجَالِكُمْ إِنْ لَمْ يَكُونَا رِجَلَيْنِ فَرِجْلٌ وَامْرَأَتَانِ مَمْنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ، أَنْ تَضْلِلْ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى .. (البقرة:282)."

تساؤل .. ما حكم الأحاديث التي نقلت عن عائشة بنت أبي بكر "زوج الرسول"؟ أليست عائشة إمرة والحديث هو المصدر الثاني بعد القرآن في الشريعة؟

لم أجده آية في القرآن تحت على الرق، لا وبل وجدت آيات تحت على تحرير الرقيق:

* "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا، وَشَفَتَيْنِ، وَهَدِينَاهُ النَّجْدَيْنِ، فَلَا افْتَحْمَعْ عَقْبَةً، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَقْبَةً، فَكَرْبَلَةً" (البلد:8-13)

* "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللُّغُوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيْكُمْ أَوْ كَسْوَتِهِمْ أَوْ تَحريرِ رقبة .. (المائدة:89)"

* "وَمَنْ قُتِلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحريرِ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ .. وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسلَّمةٌ إِلَيْهِ وَتَحريرِ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ .. (النساء:92)"

* "وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحريرِ رقبةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا .. (المجادلة:3)." وعلاوة على ذلك هناك طرق ملزمة للسيد على عتق عبده كـ"المكاتبة، التدبير، إصابة السيد لأمته، عتق البعض هو عتق الكل، عتق الولد والوالد".

ووُجِدَتِ الآيتَيْنِ:

* "وَتَحريرِ رقبةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ .. (النساء:92)"

* "أَوْ تَحريرِ رقبةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ .. (المائدة:89)." .

تُوحِي لِي هاتان الآيتان بقدوم العصر الذي يقل فيه الرق، لكن لم يتوصل المسلمون لعصر إلغاء الرق،

رغم أن إلغاء الرق لا يحتاج لنسخ آيات من القرآن.

تساؤل .. قال عمر بن الخطاب: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراً". وذلك عندما أعتق أمّةً ضربها سيدها، تطبيقاً لقول الرسول: "من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه". حتى أن الجملة الأولى من المادة 1. من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مستوحاة من قول عمر بن الخطاب. وقال علي بن أبي طالب: "أني لأستحي أن أستعبد إنساناً يقول إن ربِّي الله". والتساؤل: أليست العبودية لله وحده، فكيف يكون الرفيق عبد الله؟

* والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم (المائدة:38).
تفسير الجلالين: قطع اليدين لمن السارق والسارقة من الكوع، وبنية السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى، وبعد ذلك يعزز.

من جهة أخرى ورد في القرآن:

- "ولقد كرمنا بني آدم .. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (الإسراء:70)." • "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا.. فإذا سويته ونفخت فيه من روحِي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون (الحجر:30-28)." • "إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .. (البقرة:30)." .

تساؤل .. هل ربع الدينار الذي تُقطع يد السارق والسارقة من الكوع جزاً بما كسبا نكالاً من الله هو من المخلوقات التي لم يُكرّم ويفضّل عليها بني آدم؟ إذًا على أي المخلوقات كُرم وفضّل بني آدم، إذا لم يُكرّم ويفضّل على ذلك الربع دينار؟

الليس قطع عضو من أعضاء بني آدم هو تشويه لخلق الله، وتشويه لمن روح أبيه من روح الله، وتشويه لمن سجدت لأبيه الملائكة أجمعين، وتشويه ل الخليفة الله في الأرض؟
قطع يد السارق هو عادة جاهلية كالوأد، تخلص الإسلام من الوأد ولم يتخلص من قطع يد السارق.

اقتصر .. بناءً على كل ما وضحته أعلاه أقترح ما يلي:

أولاً .. إعادة ترتيب آيات القرآن حسب نزولها، وكتابة الآيات المنسوخة بخط رمادي. وأقصد بالآيات المنسوخة هي جميع الآيات التي لم تُعد صالحة في العصر الحالي، وتحديداً الآيات التي لا تتوافق مع أي مادة من مواد "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان". ويكون تفسير الآيات بمفاهيم ومصطلحات العصر الحالي، كمفهوم ومصطلح "الإنترنت" على سبيل المثال.

ثانياً .. إعادة ترتيب الأحاديث بشكل موازي لترتيب آيات القرآن، وفي جزئين منفصلين.
الجزء الأول: يتتألف من الأحاديث التي تفسّر أو تشرح أو توضح آية واحدة فقط. ويكون ترتيب الأحاديث

حسب ترتيب الآيات، فلا يبقى مكان لحديث لا يتفق مع آية.

الجزء الثاني: يتالف من الأحاديث التي تفسّر أو تشرح أو توضح آيات في موضوع واحد، كمواضيع "العقائد، العبادات، الأخلاق، المعاملات". ويكون ترتيب الأحاديث حسب ترتيب المواضيع، فلا يبقى مكان لحديث لا يرتبط بموضوع من المواضيع.

والمعيار في اختيار الحديث هو "النص" وليس "النقل"، فالعقل البشري قادر على التمييز بين النص "الصحيح" والنص "الخاطئ". وبذلك تُنْقَح الأحاديث ولا يبقى مكان لحديث ليس للرسول.

تحطيم الأصنام .. بعد فراق طويل لبيت دعوة أحد الأصدقاء، لزيارته في بيته، وقضينا سوية وقتاً طويلاً لم نقضيه من قبل. للصديق هذا مكانة خاصة بالنسبة لي منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي. كان الصديق هذا أستاذًا في الجامعة، وخلال فترات من عمله حل ضيفاً على جامعات كثيرة في العالم، ومنها جامعة اسمرا في إرتريا في أواسط ثمانينيات القرن الماضي، وجامعة بغداد في العراق في بداية تسعينيات القرن الماضي. ومن خلال إقامته في هذين البلدين تكونت لديه صورة حسنة عن العرب والمسلمين. وخلال زيارتي له تلك تحدثنا في جميع الموضع المشتركة بيننا بما فيها الربيع العربي وما ألت إليه الأمور.

ومن بين تلك الأحاديث ذكر الصديق أنه شاهد في أحد الأفلام الوثائقية عن مكة، كيف حطم الرسول الأصنام في الكعبة بعد فتح مكة. ودون أن يربط بين هذا الحدث وبينه "الدولة الإسلامية" من تحطيم الآثار أينما عثرت عليها، قاطعته بشيء من الحدة وقلت: ما تقوم به "الدولة الإسلامية" ليس من سُنة الرسول، فالرسول قام بتحطيم الأصنام لأنها كانت لا تزال خطراً على ضعيفي الإيمان من المسلمين، فهل الآثار التي تحطمتها "الدولة الإسلامية" تشكل خطراً على ضعيفي الإيمان من المسلمين؟

أعتقد أن الأصنام التي تشكل خطراً على الإسلام والمسلمين هي في عقول بعض المسلمين. وأن أعمال الأغبياء والجهلاء، "مَنْ تملئ عقولهم هذه الأصنام" هي أكثر مساهمة في الهجمة العالمية على الإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام المسلمين. وكلما خطرت لي هذه الفكرة تذكرت قولًا بما معناه: "خير لك أن يكون لك عدو عاقل من أن يكون لك صديق جاهل". وللأسف لنا الاثنان معاً.

أرى أن الهدف من النص القرآني هو المبدأ المستوحى من النص، وليس حرفيّة النص أو حتى النص بحد ذاته. فالنص هو مجرد وعاء لوضع المبدأ فيه. سأحاول توضيح ذلك في مثالين.

المثال الأول .. لماذا لم يستخدم الرسول "السيارة والطيارة" في حياته؟ أكان السبب هو وجود الآية: "والخيل والبغال والحمير لتركبواها .. (النحل:8)"؟ أم كان السبب هو عدم وجود "السيارة والطيارة" في زمان الرسول؟ هل كان سيستخدم الرسول "السيارة والطيارة" لو بقي حياً حتى العصر الحالي؟ أم أنه كان سيستخدم "الخيل والبغال والحمير" فقط، وذلك التزاماً بتطبيق حرفيّة الآية (النحل:8)؟

المثال الثاني .. لماذا لم يستخدم الرسول "الأسلحة والمتفجرات" التي تستخدمها "الدولة الإسلامية" في تغيير الآثار؟ أكان السبب هو وجود الآية: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. (الأنفال:60)"؟ أم كان السبب هو عدم وجود هذه "الأسلحة والمتفجرات" في زمان الرسول؟ هل كان سيستخدم الرسول هذه "الأسلحة

"والمنفجرات" لو بقي حيا حتى العصر الحالى؟ أم أنه كان سيستخدم "القوة ورباط الخيل" فقط، وذلك التزاماً بتطبيق حرفة الآية (الأنفال: 60)؟

لماذا يستخدم المسلمون " أصحاب حرفة النص" أعمال "المغضوب عليهم والضالين" ، واحتراعات "الكفار والمشركين والملحدين"؟ أليست "السيارات والطائرات" و"الأسلحة والمنفجرات" من أعمال "المغضوب عليهم والضالين" ، واحتراعات "الكفار والمشركين والملحدين"؟ كيف تأخذ "الدولة الإسلامية" منهم أعمالهم واحتراعاتهم ولا تأخذ عنهم أفكارهم التي أوصلتهم لأعمالهم واحتراعاتهم؟

Halle an der Saale
2017 - 06 - 17
Germany

Dr. Mahmoud Ezzeldin
E-mail: ezzeldin@gmx.de